١٢ شخصية
في قصة الميلاد

أنور داود

اسم الكتاب: ١٢ شخصية في قصة الميلاد
إعداد: أنور داود
مراجعة وتنقيح: د. فرنسيس فخري
مراجعة لغوية وكتابية: فؤاد حكيم – كرم جاد
إخراج فني: يوسف صبحي
تصميم الغلاف: جرافيكا ت: ٠١٢٧٤٤٣٢٨٧٧
رقم الإيداع: ٢٧٩٥١ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٧٧٣٢١٣٥٧٢
طبعة أولى ٢٠٢٢

Printed in Egypt

يطلب من مكتبة الإخوة:

٣ ش أنجه هانم – شبرا مصر ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤

وفروعها:

مصر الجديدة:	**٦٥ ش نخلة المطيعي – تريومف**	**ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣**
الإسكندرية:	**٦ ش الفسطاط كيلوباترا**	**ت: ٥٤٦٥٣٦٦**
المنيا:	**٦ ش الجيش**	**ت: ٢٣٦٤٤٠٦**
أسيوط:	**٢١ ش عبد الخالق ثروت**	**ت: ٢٣٤٢٠٢٨**

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

المحتويات

المقدمـة ٥

الفصل الأول: ١٢ شخصية حول الميلاد ٧

١. زكريا وأليصابات ٩
٢. الملاك جبرائيل والملائكة ١٦
٣. يوسـف النجار ٢١
٤. العذراء مريم ٢٧
٥. صاحب الفندق ٣٣
٦. الرعاة ٣٩
٧. حنة بنت فنوئيل ٤٥
٨. سـمعان البار ٤٩
٩. المجـوس ٥٣
١٠. هيردوس ٥٨
١١. الكتبة ورؤساء الكهنة ٦١
١٢. يوحنا المعمدان ٦٢

الفصل الثاني: خواطر حول الميلاد ٦٧

خواطر حول الميلاد ٦٩

مقدمة

تجسد المسيح ومجيئه بالجسد يُعد معجزة من المعجزات التي تجسم عمق محبة الله، فقصة الميلاد فوق تصور عقل الإنسان وتعتبر بالنسبة لفكر الإنسان من ضروب المستحيل ولكن عند الله لا يوجد مستحيلات، فقبل – وهو الذي لا تسعه السموات وسماء السموات – محدودية المكان والزمان ليصل إلينا ويعيش في شوارعنا ويتكلم بلغتنا.

وقصة ميلاده من القصص المشوقة التي عشنا في تفصيلاتها من نعومة أظافرنا.

وكم نشكر الرب الذي قاد لهذه الجولة في دراسة الشخصيات الموجودة في قصة الميلاد لنتعلم منها الدروس الأدبية النافعة، مع ذكر بعض التحليلات الكتابية من واقع ما تعلمناه من قصة الكتاب الواردة في الأصحاحات الأولى في بشارتي متى ولوقا وما تعلمناه من الدارسين والمعلمين لكلمة الله.

مديون لكل من ساهم بالمراجعة وأخص بالذكر د. فرنسيس فخري الذي نقل مع الكتاب نقلة كبيرة بفضل التعديلات والإضافات والملاحظات الهادفة وترتيبه لسرد القصص في الكتاب.

مديون لأخي حسب الجسد والروح وشريك الخدمة أمجد داود الذي كان له الفضل في التوسع في التأملات عندما أخذنا هذه السلسلة في قناة الكرازة في صورة حوارات في حلقات تحمل كل منها اسم شخصية من الشخصيات في سلسلة تحمل نفس عنوان الكتاب.

بين يدي الرب العظيم أترك هذه التأملات راجيًا بركة حقيقية للقارئ من وراء تصفحه.

الفصل الأول

١٢ شخصية حول الميلاد

١. زكريا وأليصابات.
٢. الملاك جبرائيل والملائكة.
٣. يوسف النجار
٤. العذراء مريم.
٥. صاحب الفندق
٦. الرعاة
٧. حنة بنت فنوئيل
٨. سمعان البار
٩. المجوس
١٠. هيردوس
١١. الكتبة ورؤساء الكهنة.
١٢. يوحنا المعمدان

(١)

زكريا وأليصابات

١. **باران قدام الله:** كان زكريا وأليصابات بارين قدام الله، تقيين في زمن ندر فيه الأتقياء، وسالكين في جميع وصاياه وأحكامه بلا لوم (لو١: ٦)، لم يكونا مثل الأغلبية الذين لهم صورة التقوى دون سلوك تقوي (٢تي٣: ٥)، بل تميزا بالتقوى الحقيقية المؤثرة على من حولهما، ورغم ذلك لم ينجبا إلى أن تقدما في العمر وفقدا الأمل في الإنجاب، مما يدل **على أن عدم الإنجاب ليس لسبب عدم التقوى، ولا هو عقوبة تأديبية من الله لشر أو خطأ أو تقصير فينا. ولا هو حصاد لزرع خطأ زرعناه.**

ونرى في الكتاب نماذج مختلفة لذلك: فحنة التقية توقفت عن الإنجاب، بينما ضرتها فننة التي لم تكن تقية والتي كانت تغيظها لأجل المراغمة، أنجبت (١صم١: ٦). سارة التقية (تك١٨: ١٢؛ ١بط٣: ٦)، بينما أنجبت هاجر المصرية من إبراهيم نفسه، وكذلك لوط الذي لا يقارن بإبراهيم في تقواه،

تمتع وزوجته (غير المؤمنة) بزرع البشر. ولكن بالطبع ليست هذه القاعدة، فالأتقياء أيضًا ينجبون: يوسف وموسى وهارون وداود وإشعياء وغيرهم، إنه بحكمة يفعل، عندما يعطي أو عندما يؤخر أو يمنع، وذا هو الأفضل. فالرب يدرّب الإيمان ويكرم الانتظار في حياة الأتقياء!! فلقد جاء – بعد فقدان الأمل – يوحنا المعمدان، أعظم المولودين من النساء (مت١١: ١١).

٢. **صلوات السنين محفوظة عند الرب الأمين** (إن تأنى يستجيب): ربما توقّف زكريا وأليصابات عن الصلوات، بعد أن فقدا الأمل في استجابة الصلاة للإنجاب، كثيرًا ما يحدث هذا معنا، ويعلمنا الكتاب أن الرب لا ينسى، بل يكتب سفر تذكرة (ملا٣: ١٦)، لا لأنه ينسى، لكن لكي نتيقن نحن، ودموعنا محفوظة في زقه (مز٥٦: ٨)، والرب له توقيته الذي فيه يسرع بالإجابة (إش٦٠: ٢٢)، قال الملاك لزكريا: «طلبتك قد سُمعت» (أتى وقت استجابتها). إن صلوات زكريا وأليصابات كانت من قلوب تقية، إذ كانا بارين و«طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها» (يع٥: ١٦). تأخرت الإجابة كثيرًا بالنسبة لهما، لكنها أتت في توقيت الله تمامًا، لذلك كان الاستخدام الإلهي ليوحنا عظيمًا، قال عنه أبوه: «وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ

تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ» (لو١: ٧٦). وكُتب عنه: «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي، الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ» (مر١: ٢ انظر أيضًا إش٣٠: ٣؛ ملا٣: ١؛ مت ١١: ١٠؛ لو٧: ٢٧). **ما أروع توقيتات السماء!**

٣. التقوى ليست حاجزًا للآلام والتجارب.

ومع أن استجابة صلاة زكريا وأليصابات قد تأخرت كثيرًا بحسب مفهومنا الإنساني، إلا أن زكريا استمر في خدمته الكهنوتية. لم نقرأ عن تذمر أو شكوى أو استسلام للظروف أو إحباط، بل كانت شهادة الوحي أنهما «بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ» رغم عدم الإنجاب وتقدمهما في العمر (لو١: ٦،٧). ولعل هذا يذكرنا بزوجين آخرين تقيين متحابين في العهد الجديد، أكيلا وبريسكلا لم نقرأ أنهما لديهما أولاد، ومع هذا كانا يخدمان الرب من بلد إلى بلد، بكل تقوى ونشاط، يكتب عنهما بولس: «العاملين معي» ونقرأ عن الكنيسة التي في بيتهما، ويذكر الوحي اسميهما معًا ست مرات (أع١٨: ٢،١٨،٢٦؛ رو١٦: ٣؛ ١كو١٦: ١٩؛ ٢تي٤: ١٩)، ألا ليت هذه النماذج الرائعة تكون دعمًا لنا في مسيرة الحياة رغم وفي كل الظروف.

أليصابات

١. **اختبار أليصابات مصدر تشجيع للأخريات:** فلكي تشجع السماء إيمان المطوبة العذراء مريم، ذكرَ لها الملاك جبرائيل – ملاك البشارة – اختبار أليصابات، «هوذا أليصابات نسيبتك هي أيضًا حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرًا» (لو٢: ٣٦) وبعد أن قال لها جبرائيل هذا قالت له: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك» (لو١: ٣٧). نعم **إن اختبارات القديسين مصدر تشجيع وصبر للآخرين**، على مر العصور والأزمان، فاختبار أيوب القديم جدًا يُذكر في رسالة يعقوب: «قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ» (يع٥: ١١).

٢. **اتضاع أليصابات:** يتميز الأتقياء بالاتضاع، فأليصابات حبلى منذ ستة أشهر، ومع ذلك لم يُعرف الخبر ولم تعرف مريم إلا عندما أخبرها الملاك. إنها لا تريد أن تلفت الأنظار إليها. تُرى ماذا عنا؟ أليس جديرًا بنا هذا؟ لعلنا نحتفظ بجذور حياتنا الروحية وباختباراتنا بعيدًا عن عيون الناس، بينما تكون مادة شكر للرب. نعم، يلزمنا أحيانًا أن نجاهر باختباراتنا لتعظيم الرب وتشجيع الآخرين ولكن بحكمة وفي وقته فللسكوت وقت وللتكلم وقت (جا٣: ٧)، «والكلمة في وقتها ما أحسنها» وأيضًا «تُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ

فِضَّـةٍ، كَلِمَـةٌ مَقُولَـةٌ فِـي مَحَلِّهَـا» (أم١٥: ٢٣؛ ٢٥: ١١). لقد احتفظ الرسول بولس باختبار ذهابه إلى الفردوس ولم يذكره لأحد إلى أن جاء الوقت المناسب بعد أربع عشرة سنة (٢كو١٢: ٢).

٣. **كانت أليصابات المتقدمة في العمر سبب بركة وإنعاش لمريم الشابة عندما امتلأت بالروح وهتفت:** «مباركة أنتِ في النساء ومباركة هي ثمرة بطنكِ فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ؟»، لاحظ أنها تدعوه: ربها وهو لا يزال جنينًا، ... «فطوبي للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب» (لوقا١: ٤٢– ٤٥). إنها تمدح إيمان مريم، بالمقابلة مع عدم إيمان زكريا. من سياق الكلام نفهم أن كلمات أليصابات لحقها كلمات ونشيد مريم، يذكرنا هذا اللقاء بما جاء في (ملا٣: ١٦). ليتنا نكلّم بعضنا بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، فنشجع إيمان بعضنا (أف٥: ١٩).

٤. **جميل تواضع أليصابات وتقواها:** فكونها زوجة كاهن، ومتقدمة في العمر، فذلك يعطيها شعورًا بالأفضلية، لكنها **لم تشعر بنوع من الغيرة والحسد تجاه مريم الشابة الصغيرة، التي صارت لها الأفضلية العظمى،** بل «في تواضعها» وبقمة الفرح هتفت وتعجبت أن العذراء تنازلت حتى تزورها في بيتها وهيّ التي شرفها الرب أن تكون أم

يسوع المخلص والمسيّا الملك، من نسل داود «من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ؟» (لو١: ٤٣).

٥. **تميزت أليصابات بفهم روحي عميق، وامتلأت من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم:** «مباركة أنت في النساء» وليس «على النساء»، ثم أنها أدركت أن هذا الجنين العجيب المحمول في بطن العذراء، هو ربها وسيدها، الذي لم يكف لحظة واحدة عن أن يكون هو «الحامل لكل الأشياء بكلمة قدرته»، وعندما ارتكض الجنين في بطنها وكأنه يقدم السجود للرب يسوع الذي في بطن العذراء. هنا نجد التطويب لمريم، أما السجود فللرب.

زكريا

١. **رجل بار:** عندما لم تنجب أليصابات، استمر على تقواه وخدمته، لم يغضبه ذلك، ولم يحاول أن يتزوج امرأة أخرى لينجب منها مع أن كثيرين قبله تزوجوا أكثر من واحدة (إبراهيم ويعقوب وألقانة وغيرهم)، لكنه استمر على محبته لأليصابات، مسلمًا هذا الأمر بالتمام للرب.

٢. **شك زكريا في قول الملاك (كلام الله)**، وما كان له أن يشك، بل كان عليه أن يتذكر ما حدث مع أجداده، إبراهيم

وسارة، وكيف أنجبا في شيخوختهما، حسب قول الرب (تك١٥: ٢-٤؛١٧: ١،٤،١٧؛١٨: ١٠؛٢١: ١)، فعلاً! هل يستحيل على الرب شيء؟

٣. **التأديب الإلهي:** رغم أن زكريا وقع عليه قضاء إلهي تأديبي، ففقدَ القدرة على التكلم، وبقي صامتًا إلى أن ولد الولد، فقد كان خاضعًا للمعاملات الإلهية، وعندما كتبَ «اسمه يوحنا»، انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله (لو١: ٦٣) نعم، عندما يشك المؤمن في كلمة الله، فإنه يفقد القدرة على الشهادة.

٤. **في تسبيحته،** تكلم زكريا عن ابنه «يوحنا» باعتباره نبي العلي (لو١: ٧٦)، مدركًا عظمة المسيح كابن العلي والمرتفع ساكن الأبد.

(٢)

الملاك جبرائيل والملائكة

لقد كان للملائكة أدوار مختلفة في مشاهد عديدة، بدءًا من الميلاد وحتى الصعود

١. **إن الملائكة «المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه» (عب١: ١٤)**، رغم قدرتهم، فإنهم لا يفعلون إرادتهم، بل ينفذون أوامر الرب. وهم يستمدون قوة إرساليتهم وحكمة تصرفهم ودقة كلامهم من الذي أرسلهم، أكد جبرائيل هذا بالقول: «أنا جبرائيل الواقف أمام الرب»، وهذا يكفي. وإذا كانت الملائكة أرواحًا مرسلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص (عبرانيين ١: ١٤)، فكم بالأحرى تكون خادمة ليسوع، ذلك الإنسان الكامل القدوس الفريد الذي لا مثيل له!

٢. **قوة وحكمة التصرف:**

أ. لقد أُرسل الملاك إلى زكريا وبعد ستة أشهر أُرسل إلى مريم العذراء، وعندما شك زكريا في بشارة الملاك بولادة

يوحنا، أوقع عليه تأديبًا وقضاء لأنه لم يصدق كلام الله (لو١: ٢٠)، لا سيما وأن هذه كانت طلبته «لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ» (لو١: ١٣)، كما أن الأمر لم يكن غريبًا ولا جديدًا، فقد حدث شيء مماثل من قبل مع جده إبراهيم الذي أنجب «إسحاق» وهو ابن مائة عام وسارة وهي بنت تسعين عامًا، المشهد الذي يبرهن للكل على مر العصور أن الرب لا يستحيل عليه شيء.

ب. في بشارته إلى مريم تصرف الملاك بحكمة مع تساؤل مريم: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟». إنه أمر جديد تمامًا لم يحدث من قبل! فيشرح لها الأمر: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ». مشجعًا إياها بمعجزة حبل نسيبتها العجوز العاقر بابن «لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ» (لو١: ٣٥-٣٧).

ج. دقة كلمات الملاك جبرائيل في بشارته للعذراء، حيّاها أولاً بالتحية المناسبة «أيتها المنعم عليها»، لم يقل الملاك العبارة التى نتناقلها بالخطأ «أيتها الممتلئة نعمة»! بل قال لها إن الله أنعم عليها أو أحسن إليها (انظر قض٦: ١٢؛ دا١٠: ١١)، ولكي يزيل خوفها قال لها: «لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله» (لو١: ٣٠)، فالأمر نعمة وإحسان وليس استحقاقًا.

٣. **الملائكة المسبحون يوم الميلاد:** «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لو٢: ١٤)، وتلخص هذه التسبحة عظمة المولود، إذ من خلال حياته وخدمته وموته وقيامته سيتمجد الله في الأعالي وسيتحقق السلام على الأرض والسرور للناس (الله اتجه بمسرته إلى الناس).

إنها المرة الأولى التي يرى فيها الملائكة «الله» ظاهرًا في الجسد، لكنها ليست الأخيرة، فعندما تجسد ولبس ثوب الاتضاع رأته الملائكة، بل وخدمته كثيرًا، وهذا ما كتبه بولس لتيموثاوس: «تراءى لملائكة»، عندما ذكر العبارة الشهيرة: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح **تراءى لملائكة رفع للمجد» ولم يكن هذا ممكنًا قبل التجسد، ففي إشعياء ٦ نراهم مسبحين ولكنهم يغطون وجوههم (إش٦: ٢).**

٤. **ملائكة تخدم يسوع:** ربما تكرر هذا المشهد كثيرًا في أيام وجود الرب في الجسد على الأرض، لكن الوحي ذكر فقط خدمتهم له في بعض المشاهد، بعدما انتصر على الشيطان في التجربة، في البرية (مر١: ١٣)، حيث استند على كلمة الله رافضًا أن يستخدم قوته كابن الله ليسد جوعه مستندًا على الله وعلى كلمته، ومجد الله رافضًا أن يجرب الرب إلهه، ورافضًا أن يتلقى مجدًا أو مُلكًا من يد الشيطان (مت٤: ١-١١)،

«لأن شريعة إلهه في قلبه» (مز ٤٠: ٨)، فاستخدم فقط ثلاث عبارات من سفر واحد هو سفر التثنية، لقهر المجرب. بعدها جاءت الملائكة وكانت تخدمه تكريمًا من السماء له. وإن كانت تجاربه في البرية من إبليس مخفية عن عيون البشر، لكنها كانت مكشوفة لدى الآب الذي كان قد أعلن منذ قليل «هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت٣: ١٧).

٥. **ظهر له ملاك من السماء ليقويه (لو٢٢: ٤٣):** جاءت هذه العبارة فقط في إنجيل لوقا الذي يكلمنا عنه كابن الإنسان. كان وقتها في البستان حيث انفصل عن تلاميذه نحو رمية حجر وكان يصلى في جهاد، وكان يصلى بأشد لجاجة وعرقه يتساقط كقطرات دم نازلة على الأرض من شدة المعاناة وكان يعرف أن تلاميذه سيتركونه بعد قليل، تحقيقًا للنبوة: «أصحابي يقفون تجاه ضربتي»، فكان لابد أن السماء تقف في صفه ولمعونته. وعلينا أن نميز بين اللاهوت والناسوت دون أن نفصل. فكإنسان في هذا المشهد كان محتاجًا لأن يتقوى ويتشجع، ولكن كيف قوّاه؟ ربما ذكر له نفس ما ذكر في (مز ١٠٢: ٢٤-٢٧)، فكلمة الله تقوى (دا١٠: ١٩).

٦. **ملائكة تبشر بقيامته (يو٢٠):** في مشاهد القيامة، تظهر الملائكة بصور مختلفة بدءًا من الملاك الذي جاء ودحرج

الحجر بعد قيامة الرب، ليرى الناظرون القبر الفارغ، ثم الملاكان اللذان كلما مريم المجدلية والمريمات، حيث كان ملاك عند الرأس وملاك عند الرجلين، والملاك الذي قال للمريمات إنه سيسبقهم إلى الجليل.

٧. **الملاكان اللذان كانا وقت الصعود (أع١):** طمأنا التلاميذ وشجعاهم بعد صعود الرب عنهم إلى السماء، وأكدا لهم ما قاله الرب في يوحنا ١٤، أنه سيجيء مرة ثانية، وفي موقف ربما يشابه هذا من زاوية لعلنا نذكر الحيرة التى كانت وقت إصعاد إيليا في العاصفة والتي لم تصلح معها طمأنة أليشع (٢مل٢).

ونحن ليس لنا فقط الملائكة وهي أرواح مرسلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص (عبرانيين ١: ١٤)، بل لنا أيضًا معيّة الرب الذي رغم أنه الآن في السماء، لكنه معنا بالإيمان، فهو الذي قال للتلاميذ وقت صعوده في مت ٢٨: ٢٠ وهذا القول هو لنا أيضًا: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر».

(٣)

يوسف النجار

لم يأخذ الكثير من الشهرة، إذ أن كل الشهرة كانت لمريم التي نالت شهرة واسعة لارتباطها بحدث لم ولن يتكرر، ألا وهو أنها كانت من أتى منها المسيح «الله المتجسد» إلا أن الكتاب قد وصفه بصفات تقوية رائعة:

١. **رجل بار**: إذ أنه لم يشهر بمريم! رجل بار في زمن رديء، زمن فيه هيرودس الشرير وحنان وقيافا، فاستحق أن تسرع السماء لطمأنته. البار يعيش بتدقيق، ومن يعيش مثله يكون عرضة لفضح ضعفات الآخرين، وإذ كان بارًا أراد، لكنه قرر وفكر في أن يستر على مريم وقت حملها، قبل أن يطمئنه الملاك أن الذي حُبلت به مريم هو من الروح القدس.

٢. **رجل هادئ**: غير انفعالي، غير متسرع في اتخاذ القرارات المصيرية، يفكر بهدوء وروية حتى وإن كان الأمر محيرًا للغاية، «وفيما هو متفكر في هذه الأمور». فهو يعرف جيدًا

أخلاقيات مريم السامية، فضميره يشهد لتقواها، ولكن ما تفسير الذي يراه؟ إنها حبلى!! ومع ذلك لم يستعجل إلى عمل شيء.

إن طرق الله تجرى دائمًا لامتحان الإيمان ولكنه تعالى يتنازل من لطفه ويزيل الشكوك والشك هنا ليس لأن يوسف ضعيف الإيمان وإنما لسمو طرق الله.

كان أمام يوسف، واحدة من اثنتين، أما أن يشهرها أي يفضحها ثم يتم رجمها، أو تخليتها أي طلاقها سرًا ولكن السماء كان لها رأي آخر، لم يكن ذهنه – مهما تخيل – سيصل إليه وهكذا في أمورنا دائمًا، نصلى ونكتشف أن الرب «قادر أن يفعل أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا» (أف٣: ٢٠). فليتنا نطرح شكوانا ولا نشير على الرب بالحلول «في كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك» (أم ٣: ٦). وهكذا فعادة الرب أنه يحمق حكمة الإنسان أو يتدخل عندما تُبتلع كل حكمتنا، وهو عنده للمشاكل ألف حل، بل وأكثر، وله في الموت مخارج، بل له في الموت أكثر من مخرج.

٣. **رجل أمين:** ائتمنه الله على حماية العذراء والطفل يسوع، كانت حكمة الله أن تكون العذراء الحبلى بالمسيح مخطوبة لرجل بار «يوسف» ليحميها من أقاويل وكلام الناس ويكون لها معونة حقيقية في فترة حملها.

٤. **تمييزه وثقته وطاعته وتضحيته:** كان يوسف مميزًا لصوت الرب وواثقًا في كلامه فلم يشك لحظة في كلام الرب له في الحلم (١: ٢٠)، ثم أطاع كما أمره الملاك «وأخذ امرأته» ع٢٤، أطاع في النزول إلى مصر بالصبي وأمه (مت٢: ١٣)، وفي الرجوع منها (مت٢: ١٩)، وانصرافه إلى نواحي الجليل بدلاً من اليهودية، طاعة بلا نقاش ولا اعتراض ومن الملاحظ أنه رغم الوعد بأن «قوة العلى تظللك» (للعذراء مريم)، فلا قوات الجحيم ولا العالم كله يقدر على إيذائها وهي حامل بالمخلص، لكنها بالتأكيد كانت تحتاج إلى رجل يحميها من ألسنة الناس، ويقوم لها على حاجتها، يدخل ويخرج ويذهب معها وبها ويكون عونًا ومعونة لها. فكلمة الله التي تكلمنا عن الحماية الإلهية، كلمتنا بأننا لا نجرب الرب إلهنا وهذا ما قاله الرب عندما لم يلبِ قول الشيطان في أمر طرح نفسه من أعلى جناح الهيكل، فتجنبُ الخطر هو من حكمة الحيات التي كلمنا الرب على التعلم منها في هذا الأمر (مت١٠: ١٦).

٥. **تجاوب الرب مع مخاوفه:** نزل يوسف لمصر، بقى هناك حتى ظهر ملاك الرب له مرة أخرى في حلم وقال له: «قد مات الذين يطلبون نفس الصبي، فقام وأخذ الصبي وأمه ورجع إلى أرض إسرائيل ولما علم أن أرخيلاوس بن هيرودس يملك عوضًا عنه خاف أن يذهب إلى هناك» **وتعامل الرب**

مع مخاوفه وظهر ملاك الرب المرة الرابعة التي يظهر في حلم ليوسف في قصة الميلاد وقال له أن يذهب لنواحي الجليل، فسكن في الناصرة «لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريًا» (متى ٢: ٢٣). فهذه النبوة المشار إليها لم ترد بالنص في العهد القديم، لكن روح العهد القديم كله تخبرنا أنه سيكون محتقرًا ومخذولاً من الناس (إش٥٣: ٣)

٦. **رجل متعلم من كلمة الله وحافظ للشريعة:** في (لو٢: ٢١-٢٤) نرى ثلاثة طقوس الأول ختان الطفل يسوع في اليوم الثامن الطقس الثاني تطهير مريم وهذا تم بعد ٤٠ يومًا من ولادة يسوع (لا١٢: ١-٤) وفي تقدمة الفقراء التي قدموها (لا١٢: ٦-٨) قدموا تقدمة الفقراء وهي فرخا حمام أو يمام، فلم يقدما ثورًا أو خروفًا، فهذا لم يكن في طاقتهما المادية، هكذا نشأ المسيح وسط أسرة فقيرة، في ظل بيت يمتهن بمهنة محدودة وهي النجارة، والطقس الثالث هو تقديم يسوع في الهيكل بأورشليم (خر١٣: ٢).

٧. **السجود والعبادة:** حيث كان يذهب إلى أورشليم كل سنة في عيد الفصح. وكذلك في ذهابه هو والعذراء مريم للعيد، عندما كان للصبي يسوع اثنتا عشرة سنة.

٨. **طاعته للسلطات:** في أمر الاكتتاب، فكان من الممكن أن يبرّر كسره للأوامر بأن مريم حامل في الشهر الأخير، لكن

واضح أن يوسف كانت له شخصيته التي تطيع السلطات المرتبة من الرب، ملبيًا القول: «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة» (رو١٣: ١)، وأيضًا: «اخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب» (١بط٢: ١٣). أخذ دوره كرب البيت: من خلال قراءة حوادث الميلاد، يتبرهن لنا أنه صاحب القرارات في الأسرة، سواء في أمر الاكتتاب أو في أمر النزول إلى مصر أو الرجوع من مصر وكذلك كان متواجدًا في المناسبات الأسرية، سواء التي تخص الختان أو الأعياد ولما جاء المجوس وجدوا مريم ويوسف مع الصبي يسوع وكان هذا بعد الميلاد بسنتين تقريبًا، **فهو ليس الرجل الحاضر الغائب في البيت وليس هو الرجل الذي يركن على تميز وفهم زوجته، فيترك لها قيادة البيت**، وعبء الأسرة وتعب القرارات، بل كان رجل الأسرة، الذي لم يتخلَ قط عن تحمله للمسؤوليات.

٩. **العمل والنشاط:** في حرفة النجارة والعجيب أن الصبي يسوع كان يمتهن مهنته وفي حالة اقتناع الأبناء وامتهانهم بمهنة الآباء، هذا ينم على اقتناعهم بهم كأشخاص. وبعد رحيل يوسف كان يسوع يُلقَّب بالنجار، بعد أن كان يلقب بابن النجار وواضح أن يوسف رحلَ، قبل أن يكمل الرب يسوع الثلاثين سنة وقبل انطلاقه في الخدمة التجوالية وفترة ما قبل خدمته الجهارية كان يعمل في محل يوسف النجار في الناصرة. وربما كان من الحكمة الإلهية رحيل يوسف قبل

بدء خدمة الرب الجهارية حتى عندما يقول: «أبي» يفهم السامعون أنه يقصد الآب السماوي.

رغم صمت يوسف، فلم يذكر الكتاب له أقوالاً، إلا أن حياته مازالت تتكلم وسيذكر له الرب تعبه وتفانيه وكيف أنه كان الرجل المناسب في الموقف المناسب، في مساعدة العذراء مريم والرب نفسه في أعظم مهمة على مر الزمان ألا وهي خلاص البشرية.

قصة حياة الرب شملت شخصيتين تحملان اسم يوسف، واحدًا في الميلاد وواحدًا بعد الصليب والاثنان كان لهما دور بارز في القصة، واحد لحماية العذراء مريم وقت حملها العذراوي والثاني لتكريم جسد الرب في قبره الذي نحته في الصخر وقد ظهر وقت اختفاء الكل، الاثنان ينطبق عليهما القول: «فيسمونك مرمم الثغر» (إش٥٨: ١٢) أو رجلاً يقف في الثغر أمام الرب (حز٢٢: ٣٠).

(٤)

مريم العذراء

«مريم» أحد الأسماء الشهيرة التي وردت في الكتاب المقدس، ولعل أشهرها في العهد القديم مريم أخت هارون، والأشهر على الإطلاق هي العذراء مريم لارتباطها بقصة الميلاد العذراوي العجيبة.

اسم مريم عبري. وفي اليونانية «ماريا» وفي اللاتينية أيضًا. وفي بعض اللغات «ماريان».

وتوجد عدة تفاسير لمعنى هذا الاسم، نذكر من الناحية اللغوية بعضًا منها:

أ. مريم من كلمة «ميريام» في اللغة المصرية القديمة, وهي مشتقة من كلمتين:

«ميري» وتعني محبوبة.«يام» كان استخدامها لدى المصريين للإشارة إلى الاسم الإلهي العبري «يهوه». وبناء عليه تعني كلمة «ميريام» المحبوبة لدى الله.

ب. يرى البعض أن كلمة «مريم» هي مؤنث الكلمة الآرامية «مار» وتعني «سيد» وعليه فتكون كلمة مريم بمعنى سيدة.

وأيضًا يشتق الاسم من كلمة المر، بل يعني «مر»، وكم عانت وقاست، وشربت وتذوقت المر أصنافًا وألوانًا منذ بدء حملها وسفرها لتكتتب في بيت لحم وحين لم يوجد مكان مناسب للولادة لاسيما المنزل مرورًا بكل حياة الابن الحبيب على الأرض وما قاساه من اضطهاد واحتقار ومهانة إلى أن وصلت الذروة في الصليب.

كانت مريم موضوع اختيار النعمة لتتم فيها نبوة إشعياء ١٤: ٧ «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»»، كانت هي من أتى منها «شهوة النساء» (دا١١: ٣٧) وفي بشارة الملاك لها يرد هذان التعبيران: «أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ .. لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ» (لو١: ٢٨،٣٠)، إلا أنها تميزت هي أيضا بصفات رائعة، نذكر منها:

١. **إيمانها وشجاعتها وثقتها:** رغم أنه لم يحدث ولم يسمع أحد أن تحبل عذراء بدون رجل، إن عقوبة ذلك هي الرجم، لكن رغم هذا صدقت قول الرب وقالت لجبرائيل: «ليكن لي كقولك» (لو١: ٣٨)، وهي مستعدة لتحمل تبعات ذلك، من كلام غير نظيف تلوكه الألسنة وكيفية مواجهة يوسف بهذا الأمر، لكنها كانت تثق أن الأمر معد من قبل الرب.

٢. **اضطرابها وتواضعها:** اضطربت من الملاك وبالأكثر من تحيته والأخبار التي يحملها! كيف؟ أنا؟! «هوذا أنا آمة الرب» وفي نشيدها قالت: «نظر إلى اتضاع آمته»، أنا موضوع اختيار النعمة، أنا الفقيرة، والتي من الناصرة المحتقرة. احتفظت مريم بتواضعها، فلم يرتفع قلبها بما حظيت به، بأعظم إعلان يمكن سماعه أنها ستنال الشرف أن تكون أم الرب حسب الجسد.

ربما نرى ذات الأمر، مع الفارق في يوسف، الذي وصل إلى أعلى مرتبة، فكان ثانيًا لفرعون لكنه لم ينس أهله، ولم يتنكر لهم، بل وقف بهم أمام فرعون، ولم ينس شعبه، فأوصى من جهة عظامه وكذلك موسى لم يستطع قصر فرعون الذي قضى فيه أربعين سنة أن يجمد مشاعره تجاه الرب وتجاه شعبه، فخرج لينظر أثقال شعب الرب.

بولس الذي صعد إلى الفردوس احتاج إلى شوكة في الجسد لكي يحتفظ بتواضعه، قال عن هذه الشوكة: «لئلا أرتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد» (٢كو١٢: ٧)، **لكن القديسة المطوبة مريم لم تحتاج لشوكة لكي تحتفظ بتواضعها، مع أنها سمت في اختبارها عن بولس، فهي حملت في بطنها مَن كان يحمل الفَلك.**

٣. **اهتمامها وحفظها للمكتوب:** ظهر ذلك في اهتمامها مع يوسف بتطبيق الناموس من جهة ختانها للصبي، وتقديمه للرب، وكذلك من جهة تطهيرها ومواظبتها على الفصح.

٤. **تسبحتها:** وفيها نجد مشغوليتها بالله، وفهمها لقلبه وصفاته وأفكاره ومجمل أعماله. ماذا يفعل ومن هو في ذاته، وماذا فعل معها «مخلصي»، «نظر إلى اتضاع أمته»، إن التسبيح ليس للكبار فقط، بل وللصغار والشباب أيضًا. **وبالتأمل في نشيدها، نجده يتطابق في الكثير من عباراته مع نشيد حنة أم صموئيل في ١صم٢ .**

٥. **أمينة الروح:** «أما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها» (لو٢: ١٩)، وكتمانها لهذا الأمر ينم عن نضوجها الشخصي.

٦. **خدمتها:** شركتها مع الأتقياء: لقد كانت حالة الشعب منحطة للغاية، وفي هذا المشهد يذكر اسم سبع شخصيات أمينة للرب (لو١، ٢) هم: «يوسف ومريم، زكريا وأليصابات، يوحنا المعمدان، سمعان البار، وحنة النبية بنت فنوئيل».

وواضح أن العلاقة بين مريم وأليصابات أكثر من مجرد قرابة، حيث جمع بينهما الإيمان والتقوى، فذهبت إلى أليصابات التي كانت حاملاً بيوحنا في الشهر السادس **لكي تخدمها**، سافرت المسافات الطويلة لتذهب للجبال متكبدة مشقة السفر

الطويلة إلى مدينة يهوذا (حوالي ١٦٠ كم)، (لو١: ٣٩)، وقضت معها ثلاثة أشهر، فكانتا معونة لبعضهما البعض. يذكرنا هذا بالمكتوب: «حِينَئِذٍ كَلَّمَ مُتَّقُو الرَّبِّ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ» (ملا٣: ١٦) وفي هذا درس لنا: إنه في أشد الحالات انحطاطًا، فإننا نجد قديسين نتشدد معهم بالإيمان المشترك.

٧. **تحملها وثباتها في التجارب والأتعاب:** دعونا نتخيل مشقة رحلة فترة الحمل، ثم السفر للاكتتاب وهي في فترة ما قبل الولادة ثم ظروف الولادة الصعبة وسط جو كله زحام، ثم السفر بين الدول من بيت لحم لمصر، خوفًا على حياة الطفل يسوع من هيرودس، لتعيش وسط بلاد غريبة وبين أناس يتكلمون بلغة مغايرة – في أرض مصر – فترة من الزمان لم تقل عن ستة أشهر، كما يقول بعض المؤرخين. كما كان ارتباطها بالرب مصدر تجارب متعددة لها، فعندما قالوا عنه بإهانة إنه «ابن مريم» (مرقس٦: ٣) تعني ابن زنا، فإذا كان هذا الأمر يطول الرب ظلمًا، لكنه كان يطول مريم أيضًا ولكن أعظم تجربة تحملتها بثبات يوم وقوفها عند الصليب وابنها يُصلب، يا لثباتها وشجاعتها وقوتها! لكن ثباتها راجع لتوقعها مبكرًا لهذا المشهد لسبب كلمات قالها لها سمعان البار: «وأنتِ أيضًا يجوز في نفسك سيف» (لو٢: ٣٥) وهذا يوضح أن نفسها ومشاعرها كانت تذبح قدام ذبح ابنها على الصليب. وربما تذكرت عبارات قالها لها

وليوسف الرب يسوع وهو في سن الثانية عشرة من عمره: «ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبي؟» (لو٢: ٤٩). لقد كانت تحفظ الكلام في قلبها، وكل ما حفظته تم، فكان لها جرعات من التشجيع في وقت الشدة، نحن كثيرًا ما نسمع كلمة الله، لكن يعوزنا أن نحفظها ونختزنها لكي نفرح ونعيش ونتشجع بها «خبأت كلامك في قلبي» (مز١١٩: ١١).

٨. **اهتمامها بالآخرين ومشاركتهم:** لم تكتف بمشاركة الآخرين أفراحهم في عرس قانا الجليل «فرحًا مع الفرحين» (رو١٢: ١٥)، لكنها أيضًا نقلت احتياجهم للرب «ليس لهم خمر»، وقدمت للخدام نصيحة رائعة تصلح أن تكون لكل الأجيال: «مهما قال لكم فافعلوه» (يو٢: ٥).

٩. **ارتباطها بالمؤمنين في أيام الكنيسة الأولى:** بعد صعود الرب، اتخذت وضعها كمؤمنة بين شعب الرب العابد. **فلم تشعر بالأفضلية على الآخرين، ولم تشعر بالاكتفاء الذي يقود للانعزال،** بل كانت تواظب مع الكنيسة على الصلوات والطلبة (أع١: ١٤).

(٥)

صاحب الفندق

«فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل» (لوقا ٢: ٦).

كان لا بد أن يولد المسيح في بيت لحم وليس في الناصرة، حسب النبوات (ميخا٥: ٢؛ مت٢: ٦)، وقد أصدر قيصر، الملك الوثني، أمرًا باكتتاب المسكونة ربما لأسباب سياسية أو أمنية أو كمظهر من مظاهر العظمة، ولكن الأمر برمته كان لتتميم مقاصد الله، مما جعل يوسف ومريم يذهبان إلى بيت لحم في الوقت المعين «وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ» (لو٢: ٦،٧). ومن الجدير بالذكر أن الاكتتاب لم يتم في ذلك الوقت «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ وَهذَا الاكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ» (لو٢: ١،٢) أوغسطس قيصر اعتلى العرش في روما في الفترة من ٢٧ ق.م. إلى ١٤ م هو الذي أمر بالاكتتاب، والاكتتاب

تم فعليًا في ولاية كيرينيوس على سورية (من ٦م إلى ٩م)، أي أن الاكتتاب تم بعد ولادة المسيح بحوالي عشر سنوات. وهكذا حرّك الله كل المسكونة لتتميم نبوة ولادة المسيح في بيت لحم.

الدروس والعبر التي نخرج بها:

١. **وُلِد فقيرًا:** عندما جاء المسيح في الجسد، وُلِد في ظروف لم يولد فيها أحد من قبل أو من بعد!! أقل من الإنسان العادي الفقير، فحتى الفقراء يولدون في ظروف أفضل! ولنلاحظ أنه افتقر اختياريًا لأنه في الواقع هو غني ولكن «افتقر وهو غني لكي نستغني نحن بفقره» (٢كو٨: ٩)!! بل قُمط وأُضجع في مذود. لقد ولد في اسطبل (حوش) للحيوانات– لم يقل الكتاب مذود البقر – وقُمط وأُضجع في مذود والمذود لا يعني فقط الافتقار، بل أيضًا يعني أن العالم لم يرحب به ولاحقًا حتى التقدمة التي تم تقديمها كانت تقدمة الفقراء والذي يدعو للعجب أن الرب في ميلاده لم يكن له مكان في المنزل وفي موته، دُفِن في قبر مستعار!!.

٢. **ولد المسيح في بيت لحم:** ليس فقط إتمامًا للنبوة (ميخا٥: ٢)، لكن أيضًا لأن بيت لحم معناها بيت الشبع والخبز، والرب يسوع هو خبز الحياة الذي يعطي شبعًا روحيًا حقيقيًا «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا» (يو٦: ٣٥). فهلا أقبلت إليه قارئي العزيز؟

٣. **خسر صاحب الفندق فرصة العمر:** صحيح هو لم يكن يدري أن النزلاء الوافدين له ليسوا نزلاء عاديين، بل معهم خالق كل البرايا الذي تساءل عنه سليمان قائلاً: «لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ» (١مل٨: ٢٧)، لقد قَبِل في تواضعه أن يفتقر، ويولد ويوضع في مذود. ألا يقودنا هذا إلى تعظيمه وإكرام اسمه؟؟

آه لو عرف صاحب الفندق من يكون هؤلاء ومن هو المولود القادم! بالتأكيد لكان استضافهم في منزله. تخيل معي، لو فعل ذلك لخلد اسمه بحروف من نور في كتاب الله! **كم من فرص تُتاح لنا لفعل الخير وتضيع من بين أيدينا لعدم اهتمامنا! ليتنا نستغل كل فرصة يضعها الرب أمامنا، مفتدين الوقت والفرص.**

٤. **وقت الاكتتاب:** كان هناك زحام شديد في بيت لحم، ولم يجد يوسف ومريم مكانًا في الفندق، هل لأن الأماكن سبق حجزها؟ أم لأجل ظروفهما المادية المتواضعة؟ أم لأجل جحود الإنسان وأنانيته وجمود مشاعره؟ ألم يوجد من بين هذا الجمع من يرق قلبه لهذه المسكينة التي على وشك الولادة؟ في مثل هذه الفرص والزحام الشديد، يكون الاستغلال شديدًا أيضًا، وترتفع الأسعار أضعافًا والنتيجة

أن الفقير ليس له مكان، لكن الفرصة الحقيقية لنا نحن الآن، فالكتاب في مواضع عديدة يوصي بالفقراء «... افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ» (تث١٥: ١١)، «الْمُسْتَهْزِئُ بِالْفَقِيرِ يُعَيِّرُ خَالِقَهُ» (اللي معاهوش ما يلزمهوش) (أم١٧: ٥)، «مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ» (أم١٩: ١٧)، «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ» (١يو٣: ١٧)، ويوصي الكتاب بإضافة الغرباء «لاَ تَنْسَوْا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ» (عب١٣: ٢).

٥. **الرب هو المضيف الكريم في البيوت:** إن لوقا الذي ذكر لنا هذا الحدث، يدون لنا في إنجيله عشرة بيوت دخلها الرب، **وفي كل بيت دخله، كان في الظاهر صاحب البيت هو المضيف،** ولكن الحقيقة كان الرب هو المُضيف، ونراه طبيب الأجساد في بيت سمعان بطرس (لو٤: ٣٨)، بينما نراه طبيب النفوس في بيت لاوي (لوقا٥: ٣١)، وفي بيت الفريسي هو غافر كل الخطايا (لو ٧: ٤٧)، وفي بيت يايرس نراه واهب الحياة (لوقا٨: ٥٥)، وفي بيت مرثا ومريم نراه صديق العائلة الذي ينصح ويُقوّم (لوقا ١٠: ٣٨)، وفي بيت أحد رؤساء الفريسيين نراه المُعلم الذي يشرح الشريعة ويفسرها (لوقا١٤: ١)، وفي بيت زكا نراه يطلب ويخلص ما قد هلك (لوقا١٩: ١٠)، بينما في بيت صاحب العلية نراه

يرسم تذكارًا لأروع عمل (لوقا٢٢: ١٠)، وفي بيت رئيس الكهنة نرى بداية مشوار البدلية (لوقا٢٢: ٥٤) وأخيرًا في بيت تلميذي عمواس نراه الراعي الذي يرد النفس (لوقا ٢٤).

٦. **تعال يا يسوع بيتنا:** ترى هل الرب له مكان في بيوتنا؟ قد يوجد بداخل بيوتنا أمور لا تمجده، فإن دعوناه لبيوتنا، سيرتبها، ويوجد السلام والوئام بين أفرادها، سيعطينا معونة وينجحنا في تربية أولادنا، سيدبر كل احتياجاتنا وسيتدخل في مشاكلنا وسيجعل من بيوتنا نماذج لبيوت بحسب قصده، يجد فيها مسرته نظير بيت مرثا (لو١٠: ٣٨) ويجعلها بيوتًا مميزة، كما ذكر في القديم «نور في مساكنهم» (خر١٠: ٢٣) ففي بشارة مرقس ٢: ١ ترد العبارة وسمع أنه في بيت، ليتها تنطبق على بيوتنا.

٧. **الافتقار لم يعطل الإرسالية العظمى:** بلا شك أن إرسالية الرب للعالم هي العظمى عن أي إرسالية، لكن نقص الإمكانيات المادية لم يعطلها والفقر والظروف المحدودة لم يثنهِ عن إتمام ما جاء لأجله. لعل هذا مشجع لمن يرزحون تحت أثقال الظروف ومحدودية الإمكانيات، فالرب في يوم من الأيام بات في الجبال في الوقت الذي فيه ذهب كل واحد ليستريح في بيته، الرب في افتقاره لم يكن له حق كحقوق خليقته العجماء، فقال مرة لواحد أراد تبعية الرب: «للثعالب

أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (لو٩: ٥٨) ونُشجع من يعاني من مشاكل في السكن، لقد تجرب الرب من هذا القبيل، فالرب يشعر بك ويعينك لتحتمل لأنه «تألم مجربًا فمن ثم يقدر أن يعين المجربين» (عب٢: ١٨).

(٦)

الرعاة

في يوم الميلاد كان من نصيب الرعاة بشارة ملاك الرب لهم بولادة المخلص «المسيح الرب» وكان من امتيازهم أيضًا سماع هتاف جمهور الملائكة: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة».

ولنا في الكلام الوارد عنهم في لوقا ٢: ٨-٢٠ بعض الدروس:

وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ». وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ

مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ». وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرجال الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:«لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ». فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِذْوَدِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ. وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ».

١. **رعاة متبدون:** أي بدو يسكنون في الصحراء، هؤلاء البسطاء هم أول من حظوا ببشارة الميلاد، وليس رؤساء الكهنة، ليتم المكتوب: «أما اختار الله جهلاء العالم ليخزي الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء» (١كو١: ٢٧). وهؤلاء ليسوا رعاة عاديين، بل الرعاة الأقل خبرة هم من يحرسون بالليل، لكن الأكثر خبرة يحرسون بالنهار ولعلنا نذكر أن أول من حظيت ببشارة القيامة مريم المجدلية وهكذا الرب «يحمق حكمة الحكماء».

٢. **رعاة ساهرون:** فقراء مساكين بسطاء، حالتهم تشبه حالة مولود بيت لحم من جهة فقرهم، اتجهت إليهم نعمة الله ليحظوا بهذا الشرف العظيم فبلغت البشارة إليهم أولاً بحضور الرب في الأرض، لقد كان إله إسرائيل يطلب من كانوا أذل غنمه.

«يحرسون حراسات الليل على رعيتهم»، كانوا في حالة يقظة لحماية الغنم ليلاً من الوحوش وهكذا الرب «عيناه تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوب كاملة نحوه» (٢أخ١٦: ٩). **فعادة، يلاحظ الرب الغيرة والإخلاص وعندما يرانا أمناء في القليل، يقيمنا على الكثير** ولعل قصة داود وحرصه وسهره على الغنيمات توضح لنا هذا. إن السماء تراقب الأمانة حتى في العمل الزمني والأمور المادية، وكذلك قصة جدعون وقلبه ملتهب تجاه شعب الرب عندما كان يخبط حنطة ليهربها لشعب الرب وكان ما فعله تحت مرأى ملاك الرب والسماء (قض٦: ١١).

٣. **رعاة خائفون مطمئنون:** ظهور ملاك الرب لهم وإضاءة مجد الرب حولهم جعل للموقف رهبة عظيمة عندهم، وعادة ظهور الملائكة كان يقابله مهابة ورهبة من البشر في أغلب المرات التي ذكرت في كلمة الله، ولكن تبدد خوفهم عندما قال لهم الملاك: «لا تخافوا، فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ

الْمَسِيحُ الرَّبُّ»، وكأن الله بهذا المشهد وبهتاف الملائكة أراد أن يوصّل إليهم وللبشرية عظمة الحدث وعظمة المولود: «أن مَن ترونه طفلاً مقمطًا ومضجعًا في مذود، هو عظيم بما لا يقاس، وولادته هي موضوع هتاف الملائكة».

٤. **رعاة مهتدون:** «هذه لكم العلامة»، كانت العلامة أنهم سيجدون طفلاً مقمطًا ومضجعًا في مذود ويا لها من علامة تظهر الاتضاع!

٥. **إظهار وإعلان أسماء المخلص:** ذكر ملاك الرب لهم أن المولود هو المخلص وهذا يشابه ما قاله الملاك ليوسف: «يدعى اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (مت١: ٢١) وذكر ملاك الرب للرعاة أن المولود هو المسيح الرب أي الممسوح ملكًا وسيدًا على القلوب وهذا يدل أنه ليس إنسانًا عاديًا، بل الله الظاهر في الجسد. قال عنه الملاك ليوسف: «ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (مت١: ٢٣).

٦. **رعاة مسرعون:** أظهروا تلبية وتصديقًا «قالوا: لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب» وذهبوا للمكان الصحيح لبيت لحم «فجاءوا مسرعين» ووجدوا ما بُشروا به.

٧. **تسبيحة الملائكة:** ترنمت الملائكة عندما خلق الله الخليقة الأولى (أيوب٣٨: ٧) وترنمت عندما تجسد ابن الله وهتفت: «المجد لله في الأعالي»، الذي سيتم من خلال رحلة التجسد وإكمال عمل الفداء «وعلى الأرض السلام» بالإيمان بربنا يسوع، حيث سيكون هناك سلام مع الله «وبالناس المسرة» وستتحقق مسرة الله بالناس من خلال الإيمان والاحتماء في الابن الحبيب، والقراءة الأدق لترنيمة الملائكة هي: «المجد لله في الأعالي، والسلام على الأرض للناس الذين سُرَّ بهم» وتسبيحة الملائكة هي واحدة من أربع تسبيحات مرتبطة بالميلاد وقد انفرد بها كلها لوقا في بشارته. ارتبط الميلاد بالفرح والتسبيح والأناشيد، وقد انفرد البشير لوقا بذكر ٤ تسبيحات خاصة بالميلاد، وهي:

- **تسبحة مريم العذراء لوقا ١: ٤٦- ٥٥**
- **تسبحة زكريا لوقا ١: ٦٨- ٧٩**
- **تسبحة الملائكة لوقا ٢: ١٤**
- **تسبحة سمعان البار لوقا ٢: ٢٩- ٣٢**

تسابيح وأناشيد الميلاد تعبر عن الفرح والإيمان، وسلطان وسيادة الله، ومحورها عمل الله الخلاصي في المسيح يسوع،

- وقد عبرت عن ذلك **مريم** بالقول: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي» (لو ١: ٤٦- ٤٧)،

- وأيضًا **زكريا الكاهن** بالقول: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ» (لو ١: ٦٨- ٦٩)،

- **والملائكة** تنشد بالقول: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لو ٢: ١٤)،

- **وسمعان البار** يقول: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ, لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ» (لو ٢: ٢٩- ٣٠).

(٧)

حنة بنت فنوئيل

وردت قصتها في لوقا ٢: ٣٦-٣٨

هي امرأة تقية ورد اسمها ضمن شخصيات لو١، ٢ التقية الأمينة «يوسف ومريم، زكريا وأليصابات، يوحنا المعمدان، سمعان البار». هي أرملة مثال للضعف البشري المستند على نعمة الله. معنى اسمها انحناء أو حنان، والشخص الذي ينحني من أجل أمور الله ويهتم بها والذي ينحني اتضاعًا أمام الله ينال ويتمتع بحنان الله.

ولنا فيها دروس:

١. **متغربة:** هي من سبط أشير وهذا السبط من ضمن الأسباط العشرة المشتتة في كل العالم، فقط كان هناك سبطان في إسرائيل هم سبطا: يهوذا وبنيامين، فهذا يدل أنها غريبة، لكنها كانت موجودة في بيت لحم، تنتظر فداء إسرائيل. ونحن غرباء ونزلاء، ليتنا نتمثل بإبراهيم الذي كان يبني المذبح (الذي يكلمنا عن العبادة)، بجوار الخيمة (التي تشير لحياة الغربة).

٢. **نبية، مصلية، تسبح الرب:** نبية أي عندها (تسمع) كلمة الله، مصلية أي تكلم الله، تسبح، إننا أمام اجتماع روحي عالي المستوى.

٣. **بنت فنوئيل من سبط أشير (تك٤٩: ٢٠):** فنوئيل يذكرنا بالمكان الذي رأى فيه يعقوب الرب وجهًا لوجه، أما حنة فقد كان من نصيبها أن ترى الله الظاهر في الجسد و«أشير» معناه «فرح» وهذا السبط كان في الجليل وهي مقاطعة محتقرة ومن مدنها الناصرة التي قال عنها نثنائيل: «أمن الناصرة يكون شيء صالح؟» (يو ١)، جاءت حنة لتخبرنا أن من الجليل خرج الرب يسوع.

٤. **عاشت مع زوج سبع سنوات:** لم تكرر تجربة الزواج بعد موت زوجها وصارت تتكل على الله في إمداد حياتها «أرامك عليّ ليتوكلن» (إر ٤٩: ١١)، **فوجهت قلبها للرب ورفضت كل الينابيع حتى المشروعة للحياة**، فأعتقد أنها كانت من الأرامل الحدثات التي أوصى بولس عنهن لاحقًا بالوحي أن من حقهن أن يتزوجن ويلدن الأولاد (١تي٥: ١٤).

٥. **متعبدة لا تفارق الهيكل:** ٨٤ سنة بعد موت زوجها وكل هذه المدة الطويلة ملتصقة ومرتبطة ببيت الرب، سنها تجاوز تقريبًا ١٠٨ سنة، لكن رغم ضعف الجسد وسن الشيخوخة، كان قلبها ملتهبًا، كانت حارة في الروح، عابدة الرب، كان

قلبها يسبق رجليها إلى محضر الرب. وجدت راحة النفس أن تسكن في بيت الله كل أيام حياتها وظلت لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً (لو ٢: ٣٧)، لا من أجل نفسها بل من أجل أمور الله وافتقاد شعبه في تردي أوضاعهم، مما يدل على عمق شركتها مع الله وانشغالها الكامل وتكريس حياتها له، تحقق فيها قول صاحب المزمور: «مَغْرُوسِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ إِلهِنَا يُزْهِرُونَ. أَيْضًا يُثْمِرُونَ فِي الشَّيْبَةِ. يَكُونُونَ دِسَامًا وَخُضْرًا، لِيُخْبِرُوا بِأَنَّ الرَّبَّ مُسْتَقِيمٌ. صَخْرَتِي هُوَ وَلاَ ظُلْمَ فِيهِ» (مز ٩٢: ١٣-١٥). لم تكن تفارق الهيكل وكانت تشعر بعمق تعاسة الشعب وانحرافه، فسكبت قلبها أمام عرش الله لأجل شعب الله.

ولعله من أهم وأعمق الدروس التي نحتاج أن نتعلمها هو «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة» (عب ١٠). لقد صار ترك الاجتماعات الروحية والكسل والتراخي عند البعض عادة، لكن حنة مثال جيد على المواظبة على العبادة.

٦. **تكلمت عنه:** البعض في السن المتقدم يتكلم عن خبراته وإنجازاته، أما حنة فبمجرد صعود يوسف ومريم بالطفل يسوع «وقفت تسبح الله وتكلمت عنه» أمام الواقفين، **لم تتكلم عن نفسها ولا عن تاريخها الطويل، لم تتكلم عن**

انتظارها، لم تتكلم عن عيوب المحيطين، فقط تكلمت عنه وهو وحده الجدير بأن يكون محور الكلام، كما قال المرنم: هات الأحاديث التي تنفي الكدر عن سيدي المحبوب ما دام السفر. ترى هل نتكلم عن الرب؟ **فإذا تكلمنا مع الآب عنه هذا هو السجود، وإذا تكلمنا مع الخطاة عنه هذا هو التبشير، وإذا تكلمنا مع المؤمنين عنه هذه هي الخدمة.**

(٨)

سمعان البار

رغم انحطاط الحالة الأدبية في الوقت الذي عاش فيه سمعان إلا أنه، وبشهادة الكتاب حيث يرد الكلام عنه في بشارة لوقا ٢: ٢٥-٣٥، كان «بارًا، تقيًا»، «روح الله كان عليه»، كانت علاقاته مع الناس تتسم بالبر والاستقامة وكان تقيًا في علاقته مع الرب، فكان يخاف الرب ويهابه كل الأيام التي عاشها.

معنى اسمه: «الله يسمع» وكم من تعزية لنا في هذا! إنه يستمع وينصت إلى صوت الجميع عندما ندعوه «دَعَوْتُ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ... لِصَوْتِي سَمِعْتَ: لاَ تَسْتُرْ أُذُنَكَ عَنْ زَفْرَتِي» (مرا٣: ٥٦،٥٧) «يَا سَامِعَ الصَّلاَةِ، إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ» (مز٦٥: ٢)، للمساكين (مز٦٩: ٣٣)، إنه يسمع أنين الأسير (مز١٠٢: ٢٠)، يسمع تأوهي وتنهدي (مز٣٨: ٩)، يسمع للأتقياء، ليس فقط صلاتهم بل وكلامهم (ملا٣: ١٦)، يستمع للخطاة لطلبة الخلاص، وهذا سر خلاص الخاطئ أن الله

يسمع له في رجوعه عن خطاياه طالبًا الرحمة: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو١٨)، وسر اطمئنان وأمان المؤمن أن الله يسمع له في صلواته «الرب يسمع عندما أدعوه» (مز٤).

صعوده إلى الهيكل: كان متقدمًا في العمر، ينتظر مجيء المسيح، لم يكن بالصدفة صعوده للهيكل في هذا اليوم، بل «فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ» لأنه كان «قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ» (لو٢: ٢٦، ٢٧). فـ«سر الرب لخائفيه» (مز٢٥: ١٤) وكم كانت أقوال سمعان البار مشجعة لمريم ويوسف مثلما كانت كلمات حنة بنت فنوئيل تحمل تشجيعًا لهما في ذلك اليوم!!

- **فلما رآه** «أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ (شكر وسبح) اللهَ وَقَالَ: ‹الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، ليس فقط لإسرائيل بل والأمم وكل الخليقة›» (لو٢: ٢٨ –٣٠).

- **تمييز سمعان:** وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ ع٣٤، بارك يوسف ومريم وليس الصبي لأن «الأصغر يبارك من الأكبر» نعم، إنه «الله الظاهر في الجسد».

- **صراحة سمعان:** لم يجامل مريم ولم يلطف من الأمر عندما قال لها متنبئًا: «وأنتِ أيضًا يجوز في نفسك سيف»، وهو

يقصد هنا كل ما رأته يحدث لابنها طوال حياته من رفض واحتقار وإهانة وتجريح وتجديف ولكن القمة هي فيما حدث وقت الصليب، حيث كانت مريم واقفة عند الصليب، وترى ابنها البار الوفي وهو معلق على الخشبة ويموت الموت البطيء قدامها (يو١٩)، **إذا كان موت أبشالوم وهو ابن عاق ألم داود للدرجة التي قال فيها: «يا ليتني مت عوضًا عنك يا ابني»، فكم وكم آلام العذراء وهي ترى الموت البطيء لابنها البار!!**

- **حديث سمعان عن الطفل يسوع:** أنه «وضع لسقوط وقيام كثيرين» إنه هو حجر الامتحان، من سيرفضه يسقط، ومن سيقبله يقوم، وهكذا قسم المسيح بعمله على الصليب البشر «هالكين» و«مخلصين»، «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو١: ١٢)، «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يو٣: ٣٦). طلبة قلبي أن يكون قارئ السطور ممن حظوا بعمل النعمة، فيكون من الكثيرين الذين خلصتهم النعمة.

- **طلبة سمعان:** «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك» (لو٢: ٢٩، ٣٠)،

نطق بهذه العبارة بعد أن عاش سنوات كثيرة[١] كان يتصف فيها بأنه رجل بار وتقي، وهي توضح ثقته من جهة الأبدية «فالصديق واثق عند موته» (أمثال١٤: ٣٢). وهنا نرى مشاعر الأتقياء لحظة تركهم لهذا العالم، وما يلفت النظر اللفظ الذي أطلقه سمعان البار على الموت: «الآن يا سيد تطلق عبدك»، لقد دعا الموت: «انطلاقًا»، وهو نفس التعبير الذي استخدمه الرسول بولس ليصوّر لنا به أشواقه للرحيل: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح» (في١: ٢٣). وكلمة «تطلق» تقال تقريبًا في سبعة مواقف نوردها فيما يلي، لما فيها من تعزية لقلوبنا من جهة أحبائنا الذين سبقونا وانطلقوا إلى السماء قبلنا. كلمة «إطلاق» تقال عن **خيمة** في الصحراء وقد جاء الأمر بأن تقلع أوتادها وتُنقل، وعن **سفينة** على الشاطئ وجاء الأمر للربان بالإبحار، وعن **ثور** يُرفع من على كتفيه النير، وعن **سجين** تنتهي مدة حبسه، أو **أسير** يُفك أسره، أو **أجير** ينتهي يومه، وعن **عصفور** يُطلق من القفص. إن كانت هذه معاني للرقاد أو الانطلاق، فما أشهى الانطلاق نفسه! وما أسعد المؤمن في لحظة رقاده!

١ ويُقال إن سر هذه النبوة يرجع أن سمعان كان من ضمن الشيوخ السبعين الذين ترجموا العهد القديم من العبري لليوناني وتوقف كثيرًا – بعدم تصديق – قدام عبارة إشعياء: «ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل» (إش٧: ١٤) وعندما لم يصدق، أوحى إليه الرب بأنه سيعيش حتى يرى تحقيق النبوة.

(٩)

المجوس

١. **المجوس:** كلمة تُطلق على الحكماء وعلماء الفلك أو الطبيعة وأطلقت على دانيآل باعتباره من الحكماء (دانيآل٢).

٢. **المجوس أتوا من بلاد فارس وهي إيران،** صحيح هم أمم، لكن ربما عرفوا من اليهود المشتتين هناك أن ملك اليهود عندما يولد يظهر له كوكب أو نجم بحسب نبوة بلعام «أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريبًا. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغى» (عدد٢٤: ١٧)، ولنتذكر أن أستير ومردخاي والشعب المسبي في سفر أستير كانوا في بلاد فارس (إيران) وهي ذات البلاد التي جاء منها المجوس، وربما عرفوا ذلك من دانيآل.

٣. **البعض يخلط بين قصتهم وقصة الرعاة،** ظانين أنهم جاءوا في توقيت واحد، لكن للتوضيح نقول إن متى ذكرَ قصة المجوس تالية للميلاد بسنتين تقريبًا، لأن هيرودس أراد قتل

الصبيان من ابن سنتين فما دون، بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس، أما لوقا فذكرَ زيارة الرعاة والبشارة لهم يوم الميلاد نفسه «ولد لكم اليوم»، الرعاة كانوا يهودًا، أما المجوس فكانوا أممًا وهم علماء فلك من أرض إيران. رائع إلهنا، يصل إلى كل واحد بما يناسبه، فللرعاة البسطاء بطريقة تناسبهم، وللمجوس العلماء بطريقة تناسبهم، فيا لنعمة إلهنا! فظهر لهم نجم مميز يتحرك معهم إلى أن وصل حيث الصبي يسوع ووقف فوقه، فنجم مضى كل الوقت ويتحرك في اتجاه المولود ولأن وسائل السفر لم تكن مثل أيامنا هذه، فربما قطعوا المسافة من بلادهم سيرًا على الأقدام تارة وباستخدام الدواب أو الجمال تارة أخرى وقصة الرعاة الفقراء والمجوس الأغنياء ترينا أن البسطاء لهم نصيب في الرب، وكذلك العلماء.

٤. **رأينا نجمه وأتينا نسجد له:** هذا النجم يتميز بأربعة أمور:

أ. **قالوا عنه المجوس رأينا نجمه:** فهو نجم يخص المسيح، ولكي نرشد الآخرين للمسيح يجب أن نكون ممتلَكين من المسيح.

ب. **نجم يقود الآخرين للمسيح:** كان النجم يقودهم إلى حيث يوجد المسيح حتى عندما خرجوا من عند هيرودس، تقدمهم النجم إلى أن أتى بهم إلى المسيح.

ج. **نجم ينتهي حيث يوجد المسيح:** بعدما قادهم إلى حيث يوجد المسيح لم نسمع عنه بعد ذلك وهكذا الخادم يقود الآخرين لا إلى نفسه بل إلى المسيح، ثم يتوارى من المشهد (قارن: خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصي – أع٨).

د. **نجم يضيء كل الوقت:** تظهر النجوم بالليل وتختفي بالنهار، لكن هذا النجم كان مُلفتًا للانتباه، لأنه كان مُضيئًا كل الوقت وهكذا المؤمن يجب أن يكون حاملاً رائحة المسيح ويكون صورته ورسالته المعروفة والمقروءة كل الوقت وليس في أوقات معينة.

٥. **المجوس وسجودهم:** «إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: ‹أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ›. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ» (مت٢: ١، ٢، ١١). لقد رأوا الصبي مع مريم أمه ولكن خروا وسجدوا له، فيا للعجب! أليس لهذا من دلالة، نعم له وحده ينبغي السجود.

٦. **المجوس وهداياهم:** «ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا». هدايا معبرة، فالذهب يكلمنا عن البر الإلهي، ومجد اللاهوت، ثم اللبان يكلمنا عن كمال المسيح من جهة الناسوت، فحياته تصاعدت منها روائح اللبان، رائحة المسيح

الذكية، والمر يكلمنا من ناحية عن رائحة المسيح الذكية، ومن ناحية أخرى عن آلامه وموته، فهو تبارك اسمه «أَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً» (أف٥: ٢). رائحة طيبة في حياته وفي مماته أيضًا. لقد أتى المجوس لمن رأوا نجمه في المشرق، واختصوه وحده بالسجود، واختصوه وحده بتقديم هداياهم. والهدايا تكلمنا أيضًا عن أن السجود مكلف، فهو ليس مجرد كلمات نرددها، بل هو إكرام حقيقي للرب، انعكاسًا لحياة مكرسة له.

وإكرام المجوس للرب في بداية حياته على الأرض يذكرنا بإكرام آخر في نهاية رحلة حياته وبالتحديد قبيل موته بأيام قليلة «ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا،... فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ، ... فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا، فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ»، قال الرب عنه: «اتْرُكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ».

٧. **أمانتهم وطاعتهم ورجوعهم:** «ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ» (مت٢: ١٢). أطاعوا كلام الرب في الحلم ولم يستمعوا إلى كلام هيرودس ورجعوا في طريق أخرى، بعدما أكملوا رحلتهم وسجودهم وهداياهم، ولم يخشوا أن يتتبعهم

هيرودس، وهكذا كل من تقابل مع المسيح يصبح خليقة جديدة (٢كو٥: ١٧) ويمضي في طريق أخرى، غير الطريق التي كانت له أيام البعد عن الرب «لِكَيْ لاَ يَعِيشَ أَيْضًا الزَّمَانَ الْبَاقِيَ فِي الْجَسَدِ، لِشَهَوَاتِ النَّاسِ، بَلْ لإِرَادَةِ اللهِ» (١بط٤: ٢).

هل نقدم للرب كل غالٍ ونفيس، فالذهب قدمه المجوس مقدرين الصبي يسوع، فالرب يريد قلوبنا قبل مالنا: «يا ابني أعطني قلبك» (أم٢٣: ٢٦) ومتى قدمنا قلوبنا وأعطينا أنفسنا للرب، سنعطي من تلقاء أنفسنا حسب الطاقة بل وفوق الطاقة كأهل مكدونية (٢كو٨: ٣.)

(١٠)

هيرودس الكبير (الملك)

اشتهر هيرودس الكبير بقساوته وبطشه ومؤامراته، وهو الذي ولد المسيح في أواخر أيام ملكه (مت٢: ١؛ لو١: ٥)

عندما ذهب المجوس إلى أورشليم ليسألوا عن المولود: «ملك اليهود» ليسجدوا له، فإن من المنطق أن يسألوا عنه في بيت الملك، ونتيجة سؤالهم اضطرب هيرودس الملك، وجميع أورشليم معه، فجمع رؤساء الكهنة والكتبة وسألهم: «أين يولد المسيح؟ وعندما علم منهم أنه سيولد في بيت لحم تتميمًا لنبوة ميخا، «حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ٨ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ» (مت٢: ٨،٧). لم يكن هيرودس يريد أن يسجد له كما قال، بل كان يريد أن يقتله خوفًا أن يزاحمه المُلك!

فعندما سخروا منه، اغتاظ وأمر بقتل جميع الصبيان من ابن سنتين فما دون، ليس فقط في بيت لحم لكن في كل تخومها وفي هذا يتضح تملك إبليس عليه، ذاك الذي هو الكذاب وأبو الكذاب، وليس فقط بل هو قتال للناس منذ البدء وهنا نرى من هو في مقام الرؤساء ولم يكن له أخلاقيات الملوك.

هيرودس وقتله أطفال بيت لحم وتخومها من ابن سنتين فما دون، كان المقصود منه هو المسيح وهكذا يستهدف إبليس دائمًا التخلص من المخلص مبكرًا بحرب استباقية. حدث هذا مع يوسف وهو غلام ومع موسى وهو طفل ومع يوآش وهو طفل واهن، وفي قصة الميلاد مع الرب نفسه، **وعادة يستهدف أولادنا في مراحل صغرهم، لئلا يصيروا سهامًا بيد جبار كأبناء الشبيبة (مزمور ١٢٧: ٤).**

هيرودس أنتيباس:

هو الابن الثاني لهيرودس الكبير وعُين حاكمًا على الجليل

- قتل أطفال بيت لحم.
- أراد أن يقتل الرب، أطلق عليه الرب لقب «الثعلب» (لو١٣: ٣١،٣٢).
- وبخه يوحنا لشروره لعلاقته الآثمة مع زوجة أخيه الذي كان لا زال على قيد الحياة قائلاً له: «لا يحل أن تكون لك».

- سمع يوحنا بسرور، وكان للكلام وقع كبير على ضميره، لكنه أراد أن يُسكّت هذا الصوت، فسجن يوحنا وانتهى الأمر بأن قطع رأس يوحنا ليقدمه لابنة هيروديا، حسب رغبة أمها وظل ضميره يؤنبه بشدة على هذا الأمر، لدرجة أنه ظن أن المسيح هو يوحنا وقد قام من الموت.

- قدمت له فرصة ذهبية بأن وقف أمام يسوع عندما أرسله إليه بيلاطس أثناء المحاكمة قبيل الصليب، لكن واحسرتاه!، بدلاً من أن يعترف أمامه بخطاياه، أراد أن يرى منه آية للتسلية والترفيه، إشباعًا للفضول وحب الاستطلاع.

- انتهت مقابلته مع يسوع بهذا القول المرعب: «فاحتقره هيرودس مع عسكره»، فيا للسفاهة والغباء!!

(١١)

الكتبة ورؤساء الكهنة

كان عندهم معلومات عن موضع ميلاد الرب يسوع من النبوات ولم يكن لهم معرفة بالرب، **كان لهم علاقة بالكتاب، لكن لم يكن لهم علاقة بصاحب الكتاب!!**

كانت القضية التي لأجلها جاء المجوس والتي لأجلها اضطرب هيروس هم أوْلى الكل بالاهتمام بها، لكنهم كانوا يتخذون التدين ستارًا، فكانت علاقتهم بالرب شكلية، إن وجدت علاقة من الأساس.

وهناك الكثيرون مثل هؤلاء، لهم علاقة بالكتاب، دون علاقة حقيقية بصاحب الكتاب، لهم علاقة بخدام الرب وليست لهم علاقة برب الخدام، لهم علاقة بالكنائس وليست لهم علاقة برب الكنائس، كما يقول المرنم: **ناس كثير على اسمك وهما جاهلينك!**

الكتبة ورؤساء الكهنة يذكروننا أنه في يوم قادم سياتي أناس كثيرون من المشارق والمغارب وسيكون لهم نصيب في السكنى الأبدية مع الرب ولكن هناك من كانوا قريبين سيُطرحون خارجًا.

(١٢)

يوحنا المعمدان

ولادته: كانت آخر عبارة في العهد القديم «... وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ» (ملا٤: ٦)، بعد هذا صمتت السماء ٤٠٠ سنة، وها هنا تتكلم السماء مبشرة بميلاد يوحنا ليتغير المشهد الكئيب «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا» وولد يوحنا، نذيرًا من بطن أمه. ولد «بوعد»، من أبوين تقيين، صليا من أجل أن يرزقا بطفل، وتأخرت استجابة الصلاة طويلاً حتى فقدا الأمل، ولكن جاء توقيت السماء، فأُرسل جبرائيل ليبشر بولادته (لو١: ١٣). ما أعظم توقيت السماء!، كان ممكنا أن يأتي يوحنا في وقت مبكر كأي طفل، وكان سيكون سبب فرح لزكريا وأليصابات، لكن هل كان سيتم هذا: «... وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، ... لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا» (لو١: ١٤ب-١٧). **نعم السماء تتأنى لتعطي الأفضل. وأفضل العطايا أتت نتيجة الظروف الصعبة للأتقياء.**

١. **يوحنا الجنين:** ما أعظمها بداية ليوحنا المعمدان «فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا» (لو١: ٤٢)، يوحنا جنين، ويسوع جنين أصغر بستة أشهر، لكنه (يوحنا) ابتهج، وسجد، أي يمكن القول إن سفير الملك تقابل مع الملك، وبعد أن خرج للخدمة «يأتي بعدي، لكن قد صار قدامي».

٢. **تسميته:** «وتسميه يوحنا» (لو١: ١٣) أليصابات وهي ممتلئة من الروح القدس أسمته يوحنا، نفس الاسم الذي اختارته السماء، زكريا لم يخبرها بذلك لأنه لم يكن يتكلم بعد، ومعنى اسمه «حنان الله».

٣. **قال عنه أبوه:** «وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى» (لو١: ٧٦) وقال الملاك عن المسيح: «هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى» (لو١: ٣٢)، وما أبعد الفارق بين نبي العلي وابن العلي!!

٤. **خدمة يوحنا:** أنا مجرد صوت «أنا صوتُ صارخٍ في البرية قوموا طريق الرب» (يو١: ٢٣) وكأنه يقول: «الصارخ داخلي هو الله وأنا مجرد بوق فارغ»، يا ليت يكون هذا هو انطباعنا عن أنفسنا ونحن نخدم الرب، كان يوحنا يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، طابع حياة يوحنا كان متقشفًا متواضعًا منفصلاً عن كل ما حوله.

٥. **تواضع يوحنا وشهادته عن المسيح:** «هوذا يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه» (يو١: ٢٧) ومن المعروف أن من مهام العبد أن يحل سيور حذاء سيده لكن يوحنا شعر أنه ليس أهلاً ليقوم بمهمة العبد لسيده وقال أيضًا عن الرب: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو٣: ٣٠)، وكلما تعمقنا في معرفة المسيح، كلما ازددنا تواضعًا أمامه.

٦. **من مظاهر عظمة يوحنا أنه ممتلئ من الروح القدس من بطن أمه، وهو أول من سجد للمسيح وهو في البطن!**

٧. **طابع خدمة وحياة يوحنا:** أتى يوحنا في وقت حالك السواد من الناحيتين، السياسية والروحية، سبق ورأيناه في البرية منفصلاً عن الناس، منتظرًا توجيه الرب له، وكانت خدمته هي – المعمودية – لكي يهيئ الشعب لاستقبال المسيا بمعمودية التوبة، أي يعمد التائبين ويهيئهم لقبول المسيا الملك. أتى ليهيئ الطريق قدام المسيح، فخدم في برية يهوذا، حيث بدأ بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. والبرية تتكلم عن النشوفة والجدوبة وانعدام الموارد، فكان شخصًا معتمدًا تمامًا على إلهه. شجع تلاميذه على الارتباط بالمسيح قائلاً عبارته الخالدة: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص».

٨. **هو شخص متواضع:** عندما سألوه: «من أنت؟» قال عن نفسه إنه لا شيء، إنه مجرد صوت يدعو الناس ليستقبلوا ويقبلوا العظيم الذي سيأتي بعده. ما كان يوحنا يخالف الحقيقة لو أجاب: أنا أفضل من نبي! أنا يوحنا ابن زكريا الكاهن، الممتلئ بالروح القدس من بطن أمي.

٩. **شديد التقشف:** يتصف بالجرأة والشجاعة، فوبخ هيرودس فسجن ثم قطعت رأسه.

١٠. **موت يوحنا المعمدان:** قال عنه الرب إنه أفضل من نبي (لو٧: ٢٦)، حيث ورد عنه في العهد القديم ٣ مرات.

ولما صار يوحنا يكمل سعيه (أعمال١٣: ٢٥)، مع أنه مات وعمره ٣١ سنة أي مبكرًا ومع أنه مات في حادث إرهابي، لكن رأت السماء أنه أكمل سعيه، لم يترك من خدمته شيئًا **وهكذا كل خادم لن يرحل إلا بعد أن يكمل خدمته. لعل هذا يعطي تعزية لنا عندما يسمح الرب بأن يرحل من وسطنا النافعون والخدام الذين كنا نود استمرارهم معنا، وقد يرحل البعض في ظروف حوادث وليس شرط حوادث إرهابية كيوحنا المعمدان، فقد تكون حوادث عادية، لكن لن يرحل خادم إلا بعد أن يكمل مقطوعيته. فقد ينجزها مبكرًا كالطالب النجيب الذي ينجز دروسه مبكرًا، رحلوا لكنهم مازالوا يخدمون**

بسيرتهم وبتأثيرهم يتم فيهم القول: «وإن مات يتكلم بعد» (عب١١: ٤)، فالذين لم يتأثروا بشهادات المعمدان عن الرب بعد موته قالوا: «... كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقًا» (يو١٠: ٤١).

في ختام هذه الجولة السريعة في شخصيات حول ميلاد المسيح، رأينا أن البعض منهم كان داعمًا والبعض كان مدمرًا، البعض كان مصدر تشجيع والبعض كان مصدر خطر، البعض قبله (يو١: ١٢)، والبعض رفضه.

والسؤال الآن لك: ما هو موقفك من الرب؟ لو كنت في أيام الميلاد، أو أيام وجوده على الأرض، ماذا كان سيسطر عنك الوحي المقدس؟ ماذا سيسطر عنك سفر التذكرة المكتوب أمام الله نفسه من جهة معرفتك بالرب وحجم علاقتك به؟ هل كنت ستقبله أم ترفضه، والفرصة أمامك الآن: فهل تقبله مخلصًا وربًا وملكًا على حياتك؟

الفصل الثاني

خواطر حول الميلاد

خواطر حول الميلاد

في ميلاد الرب يسوع المسيح أشارك ببعض هذه الخواطر:

إن ربنا يسوع المسيح هو الله بصفته أقنوم الابن كما نعلم، وبصفته أقنوم الابن، فإن الله أبوه، وأقنوم الابن هذا تجسد في ملء الزمان، وعن تجسده يقول الكتاب: «والكلمة صار جسدًا...» (يو١: ١٤)، وأيضًا «... أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة ...» (غل٤: ٤).

هناك نسبتان بين أقنوم الآب وأقنوم الابن:

- **النسبة الأولى «أزلية» أي «البنوة الأزلية»** فهو الابن الوحيد، المعادل والمساوي للآب تمامًا. هذه «البنوة» بعيدة كل البعد عن التناسل الجسدي، كما يعتقد ويردد فاسدو الذهن، ولم يرد في الكتاب ولا مرة أن المسيح «ولدُ اللهِ»، ولكن يرد كثيرًا تعبير ابن الله، وقد أيده المسيح بل وذكره عن نفسه (مت٢٦: ٦٢، ٦٤؛ يو٩: ٣٥، ٣٧؛ ١٠: ٣٦)، شهد به عنه

الروح القدس (مر ١: ١؛ يو ٢٠: ٣١)، والملاك (لو ١: ٣٥) وتلاميذه (مت ١٤: ٣٣)، وقائد المئة عند الصليب (مت ٢٧: ٥٤؛ مر ١٥: ٣٩)، وشهدت عنه الشياطين، التي تعي جيدًا، أنه لا سلطان عليها إلا لله (مت ٨: ٢٩؛ مر ٣: ١١؛ لو ٨: ٢٨)، وعندما سأل الرب تلاميذه: «وأنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، وهنا مدحه الرب قائلاً: «طوبى لك يا سمعان ابن يونا إن دمًا ولحمًا لم يعلن لك بل أبي الذي في السموات» (مت ١٦: ١٥-١٧).

- **النسبة الثانية في الزمان:** عندما تجسّد الرب يسوع «والكلمة (الأزلي) ... الله» (يو ١: ١)- صار جسدًا» (يو ١: ١٤)، أصبح الله إلهه بكونه في الناسوت، كقوله عن نفسه بالنبوة: «عَلَيْكَ أُلْقِيتُ مِنَ الرَّحِمِ. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي» وعلى الصليب صرخ: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (مز ٢٢: ١؛ مت ٢٧: ٤٦) وفي (مز ١٠٢: ٢٤): «أقول يا إلهي لا تقبضني في نصف أيامي»، وبعد أن مات وقام – له المجد – قال لمريم المجدلية: «اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ» (يو ٢٠: ١٧)، ولعلنا نلاحظ أنه لم يقل: إلهنا بل: إلهي وإلهكم، يطابق كونه إنسانًا، بحيث صار الله إلهه، فليس مذكورًا أن الله إلهه منذ الأزل، بل إنه كان عند الله، وكان هو الله (يو ١: ١)، ولكن لمَّا تجسّد، صار إنسانًا، وبالتبعية صار الله إلهه. (بنكرتن).

١. **قول المسيح:** «أبي وأبيكم» (يو٢٠: ١٧) و«ليس أبينا»، يعني أن الله أبوه، بمعنى مختلف عن أبوته لنا، فالله أبوه منذ الأزل والمسيح هو الابن منذ الأزل، والمسيح كابن الله ليس كأيّ ابنٍ آخر، إذ إن لله أبناءً كثيرين، فالبشر هم أبناء الله بالخلق، والمؤمنون هم أبناء الله بالتبني (غل٤: ٥-٧)، والملائكة أيضًا وصفوا بأنهم بنو الله (أي ١: ٦، ٢: ١)، ولكن يسوع هو ابن الله بمعنى فريد، فهي تعني المعادلة الكاملة وهذا ما فهمه اليهود «فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ... قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ» (يو٥: ١٨)، والمحبة الفريدة الأزلية «اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ» و«... لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ» (يو٣: ٣٥، ١٧: ٢٤)، والوحدة التامة «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»، «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو١٠: ٣٠، ١٤: ١٠)، وأيضًا تعني المشابهة التامة «من رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩).

تُذكر البنوتان معًا كثيرًا، فمثلاً «أَنْتَ ابْنِي (البنوة الأزلية)، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ (البنوة في الزمان)» (مز٢: ٧، عب١: ٥)، «لأنه يولد لنا ولد (البنوة في الزمان) ونعطى ابنًا ...» البنوة الأزلية (إش٩: ٦)، «القدوس المولود منك (البنوة في الزمان) يدعى ابن الله» (البنوة الأزلية) (لو١: ٣٥) وأخيرًا وليس آخرًا «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه (الأزلي) مولودًا (التجسد) من امرأة» (غل٤: ٤).

ولعلك تلاحظ – عزيزي القارئ – أن الشواهد السابقة، وغيرها الكثير والكثير، مذكورة في العهدين، القديم والجديد، على السواء. أليس هذا عجيبًا؟! نعم! لأنها تتكلم عمّن كُتِب عنه: «ويُدعى اسمه عجيبًا» (إش٩: ٦). نعم! «فإن شهادة يسوع هي روح النبوة» (رؤ١٩: ١٠). ولأنه «... تكلم رجال الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢بط١: ٢١).

٢. **أزلية المسيح:** لم يكن الميلاد العذراوي بداية المسيح، فالمسيح كأقنوم إلهي هو أزلي، ففي يوحنا١ يقول: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسدًا». يقول الوحي عن المسيح في الأزل إنه الخالق، ففي أمثال ٨ يرد القول: «كنت عنده صانعًا وكنت كل يوم لذته. فرحة دائمًا قدامه. فرحة في مسكونة أرضه»، وهناك الكثير من الإشارات عن ملاك الرب في العهد القديم وهي ظهورات صريحة للابن.

بالتجسد (٢تي٣: ١٦)، (إش٧: ١٤؛ مت١: ٢٣) (اتخذ) الابن جسدًا وهو ما جاء عنه الإشارة: «هيأت لي جسدًا» (عب١٠: ٥)، فالرب يسوع هو ابن الله الأزلي، لكنه جاءنا طفلاً في الزمان. وهذا ما أكدت عليه نبوات العهد القديم، فمثلاً يذكر داود عنه في المزمور الثاني: «أنت ابني (كابن الله الأزلي) أنا اليوم ولدتك (تجسده في الزمان)». وهذا ما ركّز عليه إشعياء أيضًا: «لأنه يُولد لنا ولد (كالمولود في

الزمان) ونُعطَى ابنًا (الابن الأزلي)» (إشعياء٩: ٦). ويؤكده بولس في العهد الجديد: «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه (الأزلي) مولودًا من امرأة (في الزمان) مولودًا تحت الناموس» (غل٤: ٤). حدث هذا الأمر العجيب دون أن يتحول الإنسان إلى إله ودون أن يتحول الإله إلى إنسان، فكان هو الله ١٠٠٪ وكان إنسانًا ١٠٠٪، في اتحاد عجيب دون امتزاج، وقد ظهر هذا في مواقف عديدة: (نائم كإنسان، لكن الريح تطيعه كالله).

٣. **مجيء المسيح في ملء الزمان:** بعد أن ظهر فشل الإنسان في كل التدابير المختلفة بدءًا من تدبير البراءة في الجنة ومرورًا بتدبير الضمير، فالحكومات ثم الوعد، فتدبير الناموس... على امتداد أربعة آلاف عام تقريبًا فشل الإنسان في كل التدابير، ثم «في ملء الزمان أرسل الله ابنه» (غل٤)، فبدأ تدبير النعمة بموت وقيامة وصعود ربنا يسوع المسيح ونزول الروح القدس وهو لا زال مستمرًا. التوقيت الذي ثبت فيه فشل الإنسان تحت الناموس وبعد التوقيت الذي قدّم الله فيه إعلانات متدرجة في العهد القديم من خلال الذبائح ليثبت احتياج الإنسان لمخلص، جاء الرب يسوع في الجسد ولو فطن اليهود بحسابات دقيقة لتوقعوا الوقت التقريبي لولادته من خلال أسابيع دانيآل السبعين، وربما حنة بنت فنوئيل والمنتظرون له في الهيكل حسبوا هذه الحسبة،

فنبوة دانيآل (دانيآل ٩) حددت الوقت الذي سيُقطع فيه المسيح (أي يموت)، من وقت أمر أرتحشستا ببناء السور حتى صلب المسيح وبطرح منها نصف أيام عمر الإنسان ٣٥ سنة، حيث المتوسط ٧٠ كما قال موسى (مز٩٠)، وحيث أن المسيح قُطع في نصف أيامه، يمكن حينذ توقع التوقيت الذي تتحقق فيه النبوة الخاصة بولادته.

٤. **بالتجسد قَبِلَ محدودية الزمان والمكان:** فالله، سماء السموات لا تسعه (١مل٨: ٢٧)، لكنه بالتجسد قبل محدودية الزمان والمكان، فلكي يصل للسامرة مشى على قدميه حتى تعب من السفر وجلس هكذا على البئر (يو٤)، لم يخطفه روح الله ليصل به بسرعة مثلما عمل مع فيلبس المبشر في سفر الأعمال (أصحاح٨). فقد «أخلى نفسه» وهذه العبارة معناها: أخفى مجد اللاهوت في الناسوت، ولم يستخدم إمكانياته الإلهية في خدمة نفسه، فكما قيل عنه: «إن أعظم معجزة عملها المسيح أنه عاش كإنسان على الأرض ولم يعمل لنفسه شيئًا واحدًا».

٥. **عاش بيننا:** تجسّد لكي يتواصل معنا، فتكلّم بلغة البشر وسار في شوارعنا وعاش في أرضنا وفي تعاليمه قدّم تشبيهات وأمثالاً يفهمها البشر وفي عظاته كان يقدّم التعاليم في بساطة، للدرجة التي يفهمه فيها الصغير والكبير.

٦. **ذكرت حياة المسيح في البشائر الأربع:** متى ومرقس ولوقا ويوحنا. لكن لم ترد حوادث الميلاد في بشارتي مرقس ويوحنا، لماذا؟ لأن مرقس تكلّم عن المسيح كالعبد، والعبد لا يهمنا نسبه ولا مولده بل يهمنا نشاطه وخدمته وهذا ما ظهر جليًا في هذا الإنجيل المبارك، إذ تُذكر فيه كلمة «للوقت» حوالي ٤٢ مرة، ومن كثرة ما كان يقوم به من أعمال لم يجد وقتًا ليأكل (٣: ٢٠، ٦: ٣١). ويوحنا كتب عنه كابن الله وهو الأزلي الأبدي الذي لا بداية أيام له ولا نهاية حياة، لهذا قيل في بداية البشارة: «في البدء كان الكلمة». ومن الواضح أن البدء في يوحنا ص ١ أسبق من «في البدء خلق السموات والأرض» في تكوين ص١ حيث البدء في يوحنا ١ تكلمنا عن الأزل أما في تكوين ١: ١ وقت إعادة تجديد الخليقة وما أعجب التناغم بين هاتين البشارتين، فالتي تتحدث عنه كالخادم الكامل، تشير إليه كأقنوم الابن، فتبدأ بعبارة: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله»، وتلك التي تتكلم عنه كابن الله تشير إلى ناسوته في عبارة «تعب من السفر» (يو٤: ٦).

«متى» كتبَ عنه لليهود كالملك، فكان لابد من التأكيد على أنه أتى من النسل الملكي، نسل داود، لهذا كان التركيز على يوسف «كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ... وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ» (مت١: ١، ١٦). ولأنه يكتب لليهود، فهو الوحيد الذي ذكَرَ

قصة المجوس الذين «جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ» (مت٢: ١،٢). أما لوقا فكتب عنه للأمم باعتباره ابن الإنسان، فجاء بالنسب إلى ناثان بن داود الذي جاءت منه مريم. في لوقا تبرز مريم أكثر من يوسف، بينما في متى يوجه الضوء على يوسف أكثر.

ذُكرت حوادث الميلاد في أول أصحاحين من إنجيلي متى ولوقا، مدخل البشير لوقا يختلف عن مدخل البشير متى، فحين تكلّم الملاك ليوسف في متى (١: ١٨- ٢٣)، في لوقا (١: ٢٦- ٣٨) تكلّم الملاك لمريم، والمدخلان متكاملان، حيث تمت الإشارة بوضوح شديد إلى الروح القدس ورسالة الخلاص.

إن ميلاد المسيح مختلف، مختلف عن كل البشر وحتى عن الأنبياء. **كل طفل يولد لكي يعيش، لكن المسيح وُلد لكي يموت،** لقد أتى للعالم لكي يخلص البشرية، قال الملاك للرعاة: «وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لو٢: ١١)، (انظر: رو٤: ٢٥؛ غل١: ٤؛ ٤: ٤؛ ١يو٣: ٥؛ ٤: ١٠).

قد يُثار سؤال: هل كان من الممكن، أن يأتي المسيح رجلاً ويموت لأجل خلاص البشرية دون أن يجتاز رحلة التجسد كاملة؟!! طبعًا لا! ولا يعقل أن يثار سؤال كهذا. هل عندما يرتب الله أمرًا يجيء كائن من كان ويقترح اقتراحًا ساذجًا يهدم هذا الترتيب؟ لو أتى المسيح رجلاً، لكانت رسالة الخلاص

قوضت منذ البداية أجزاء كثيرة من الكتاب بعهديه. كيف كنا نعرف من هو، من أين أتى، ما هي طبيعته، ما هي سلوكياته، كنا سنفتقد معجزة الميلاد العذراوي ودروسها العظيمة، وكثيرًا من النبوات، كيف كانت تتم نبوات العهد القديم، مثلاً «مز ٢: ٧؛ إش٧: ١٤؛٩: ٦)؟! ما كان لنا أن نكتب كتابًا كهذا عن شخصيات حول الميلاد، لا، لا، لم يكن ممكنًا أن يكون هذا!!

أما عن لزوم رحلة التجسد، كان لا بد أن يصير «في الهيئة كإنسان»، لكي يفدي الإنسان وأن يشابهنا في كل شيء، ما عدا الخطية.

ومن أغراض التجسد:

أ. لكي يتبرهن، **للجميع**، من خلال رحلة البرية والاحتكاكات مع البشر ومناوشات الشيطان أنه بلا خطية، **فشهد عن ذلك ثلاثة من كتبة الوحي، فبطرس قال: «لم يفعل خطية» (١بط١) ويوحنا قال: «ليس فيه خطية» (١يو٢) وبولس قال: «لم يعرف خطية» (٢كو٥)**، وأيضًا «بلا (بدون) خطية» (عب٤: ١٥). ناهيك عن شهادات الأعداء قبل الأحباء، فالشيطان شهدَ (مر ١: ٢٤) وامرأة بيلاطس ترسل لزوجها: «إياك وذلك البار. لأني تألمت اليوم كثيرًا في حلم من أجله» (مت٢٧: ١٩). فهو كخروف الفصح وضع تحت الحفظ ليس فقط أربعة أيام كما في خروج ١٢، بل ٣٣ سنة وقدر بكل ثقة أن يقول: «من منكم يبكتني على خطية؟» (يو٨).

ب. **لكي يعيش رحلة الألم الإنساني عمليًا**، ويطمئننا أنه ليس بعيدًا عنا، فيرثى ويعين المجربين لا من واقع علمه وقدرته باعتباره الله العالم بكل شيء والقادر على كل شيء، بل من واقع تجربته كإنسان، جُرِّبَ بمشاعر إنسانية كاملة، اجتاز كل أنواع الألم، لهذا قيل عنه: «رجل أوجاع ومختبر الحزن» (إش٥٣: ٣)، أي الخبير بالأوجاع.

والآن بعد أن عرفت – عزيزي القارئ – لماذا أتى المسيح، اسمح لي أن أسألك: هل استفدت من مجيء المسيح للعالم؟ إنه أتى خصيصًا لأجلي ولأجلك، لقد سعت قدماه لخلاص نفسك، الكثيرون والكثيرون جدًا، على مر العصور، استفادوا من مجيئه إلى العالم، وموته على الصليب، كالمخلص والمنقذ، الذي ليس بأحد غيره الخلاص! **ليتك تخصص مجيء المسيح وعمله لك شخصيًا، فتخلص.**

كتب أخري للمؤلف

أولًا: في خدمة الرب:

نحو اجتماعات شباب ناجحة – معك في خدمة الشباب – قادة أون لاين – العمل الجماعي.

ثانيًا: سلسلة س، ج:

أسالك فتعلمني – لكل سؤال جواب– تساؤلات الشباب.

ثالثًا: كتب في موضوعات عملية:

السقوط المتكرر– باذلون كل اجتهاد –النمو الروحي – معرفة مشيئة الله – السحر والعرافة – نحو علاقات كنسية صحيحة – أكرم أباك وأمك – اغفروا– إدانة الآخرين – العثرات – العشور والعطاء – قبل أن تقولي نعم – لا تحزنوا – الأحداث الجارية – عظات كورونا – أحداث الصلب والقيامة.

رابعًا كتيبات في موضوعات عملية:

بركات الألم – الشكر – أنا الرب شافيك – هل تفكر في الهجرة – ماذا أفعل لكي أخلص – الحب في المراهقة.

خامسًا: كتب دراسية للشباب (تلمذة):

لسن ثانوي وجامعة: شباب أون لاين خمسة أجزاء.

لسن إعدادي: إعدادي أون لاين أربعة أجزاء.

للبنات: من بنت لبنت جزئين.

للمرأة: أنا وبيتي – امرأة مستنيرة – بالحكمة يُبنى البيت – خدعوكي فقالوا تحت الطبع في بيتنا مراهق.

سادسًا: سلسلة قصص وعبر:

قصص قصيرة ستة أجزاء.

سابعًا: كتب لخدمة السجون وأهالي السجناء:

يوجد رجاء – العفو المرفوض– كله للخير– لا للفشل.